القمة وأزمة الثقة

أحمد يحيى الديلمي

□ .. وأنا بصدد الحديث عن قمة الجزائر المقبلة لقادة العرب بكل ما يتصل بها من آمال وتطلعات ، لفت انتباهي موقف درامي معبر عن حال الأمة ومستوى انعدام الثقة السائد بين ابنائها .

فالمذيع الذي كان يصف المسيرة الجماهيرية الحاشدة التي طافت بشوارع بيروت لكي يقنع المشاهد بالكثافة وقوة الحضور واضطر إلى الاستعانة بشاهد اثبات ليؤكد الرقم العددي الذي أفصح عنه جاء بالرقم الذي اعلنته وكالة الصحافة الفرنسية كدليل المصداقية مع أن الصورة كانت واضحة ولا تحتاج إلى شهود لكن المذيع عبر بتلقائية عن الروح الانهزامية السائدة التي افقدت الانسان العربي ثقته بنفسه وعدم التسليم بأي شيء مالم يكن معززاً بشهادة طرف آخر غير عربي.

وهي الحالة التي لم تعد قاصرة على الإعلام فقط لكنها امتدت إلى كافة الخيارات الاستراتيجية المتصلة بالأمة.

فشملت العلاقة البينية والمواقف والرؤى والتجاذبات التي تحدد العلاقة مع الآخرين.

أي ان الاستلاب وصل إلى المكونات الأصيلة التي لها وزنها وقوة تأثيرها في الثقة بين أطراف الأمة.. الموقف السابق رغم بساطته إلا أنه يقدم دلالات واضحة على انعدام مناخ الثقة وما يترتب على ذلك من تداعيات وعوائق تحبط حلقات التواصل على كافة المستويات لأن الخوف المتبادل فرض نفسه على المشهد العام ودفع المكونات الجمعية للأمة إلى التعامل بمنظور ضيق تؤثر فيه نوازع الاستئثار والتباين في الرؤى والتوجهات حول ابسط القضايا التي تحيط بالأمة ومن ثم ارتهن الجميع إلى مبدأ التوافق والحفاظ على ماء الوجه من خلال انتهاء اجتماعات العرب على أي مستوى بصدور بيانات عاطفية تمني المواطن العربي بالتكامل والتقارب دون جدوى لأنها خالية من التأييد وقوة الفعل.

ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب لكن العملية تعاضدت مع الارهاصات والتقلبات العاصفة التي يشهدها العالم وبالتالي فرضت مبدأ الارتهان إلى الضمانات التي تؤكد مصداقية الأقوال والأفعال وحتمت وجود طرف غير عربي للقيام بتلك المهمة.

ومن الواضح أن شاهد الاثبات تعامل مع ذلك الخيار بمنظور ضيق دفعه إلى ترسيخ دائرة انعدام الثقة لضمان الحصول على المصلحة الذاتية ومع افتراض أن ذلك الآخر مثله أكثر من طرف فإن التعاطي مع المصلحة بمفهومها المجرد وضمان سهولة الحصول عليها تطلب إعادة النظر في التعاملات والمسلكيات وتحديد الأولويات باتجاه توسيع قاعدة انعدام مناخ الثقة واتساع رقعة الشك والتأويل في إطار الأمة مما أدى إلى ضياع الفرص وإهدار الامكانيات وتفاهم المشاكل وخلق بؤر التوتر والأزمات الطارئة وبالتالي اضعف حلقات الأمن والاستقرار المطلوب لاحداث التنمية في نطاق الأمة على المستوى الفردي والجمعي .. وتمادت أزمة الثقة نتيجة التطورات المحمومة التي قادت إلى حد الاستهانة بالقيم والمبادئ التي تمثل سياجاً للأمة يحيطها بكل معاني الحيوية بكل ما يعنيه الموقف من استلاب وتبعية.

وبالتالي فإن البديل الواقعي لتجاوز كافة المظاهر والتداعيات التي احاطت بالأمة خلال السنوات الماضية يتطلب من القادة العرب الارتقاء بالتفكير والمفاهيم إلى مستوى المسؤولية التاريخية التي يتعين عليهم القيام بأعبائها والتعامل معها بشفافية تامة لاعتماد رؤية قومية ذات ابعاد واضحة تشيع أجواء الثقة عبر الشراكة الحقيقية التي تجعل المهام والأعباء ثابتة في مستوى واحد يوازي المصالح والمنافع التي يتوقع كل طرف الحصول عليها نظير أي فعل يقوم به لصالح الأمة لكي تتواصل النجاحات لابد من تقديم نموذج ناجح في التعامل يحظى باهتمام الجميع.

وذلك الأمر يتطلب الاحتكام إلى مبدأ المصلحة وجعلها فوق كافة الاعتبارات تبعا لقيم العصر التي جمدت العواطف واسقطت الشعارات من منطلق أن ذلك هو المدخل الحقيقي لاقتلاع الخوف المعشش في النفوس وتعزيز مناخ الثقة.

مطلوب حوار واع بين فئات المجتمع وشرائح الأمة على كافة المستويات في النطاق العربي ومن ثم تحرك شامل تتناغم فيه الجهود وتتفاعل الطاقات والتوافق على نوع الشراكة التي توسع رقعة المصالح وتتعدد معها المنافع لامتلاك عناصر القوة الاقتصادية المطلوبة لاكساب الواقع قوة التحدي واستحضار حيثيات الوعي الكامل بظروف المرحلة.

لكي تحدث المعجزة لابد أن يعي القادة طبيعة المهمة لتجسيد شعور صادق تجاه قضايا الأمة والتعامل معها بشفافية تامة تؤدي إلى اشاعة أجواء الثقة المطلوبة لتفعيل ارادة الأمة لتأمين منجزات الحاضر وكسب معركة المستقبل الأمر لن يتم إلا في وجود الثقة التي تجعل كل دولة وكل فرد في الأمة عمقاً للآخر وكيانا مكملا له في مستوى واحد يوازي المصالح والمنافع التي يتوقع كل طرف الحصول عليها نظير أي فعل يقوم به لصالح الأمة لكي تتواصل النجاحات لابد من تقديم نموذج ناجح في التعامل يحظى باهتمام الجميع.

وذلك الأمر يتطلب الاحتكام إلى مبدأ المصلحة وجعلها فوق كافة الاعتبارات تبعا لقيم العصر التي جمدت العواطف وفرضت لغة المصلحة على كافة المستويات لكي تحدث المعجزة لابد أن يعي القادة العرب طبيعة المهمة لاستحضار حيثيات الوعي الكامل لظروف المرحلة والصعوبات التي تكتنفها ومن ثم التعامل بشعور صادق مع كافة القضايا وبحثها بشفافية تامة لإشاعة أجواء الثقة وتفعيل الإدارة المطلوبة للأمة كأساس لتأمين منجزات الحاضر وكسب معركة المستقبل كل تلك الأمور ممكنة لكنها تتطلب تعميق الثقة لكي تكون كل دولة عمقاً للأخرى أو كيانا مكملا لها وذلك ما نأمل أن يصل إليه القادة في قمتهم المقبلة والله من وراء القصد.

تمر العاصفة الهوجاء ويبقى لبنان

محمد الزبيدي

● ما أكثر العواصف التي تهب على الوطن العربي ولم تجد المصدات التي تصدها أو حتى تقاومها!! ويبدو أننا نحن العرب قد تخلفنا عن ركب الحضارة والعلوم رغم أننا كنا فيها السباقين فلم نعد ندرك مصادر الرياح ولا اتجاهاتها ولانفرق بين الضار والنافع منها، وتلك هي المأساة والعاصفة التي هبت على بعض مناطق الهلال الخصيب بعد، لا بل قبل اغتيال الشهيد رفيق الحريري- رئيس الحكومة اللبنانية السابق وتصاعدت بعد اغتياله توظيفاً للحدث واستغلالاً له، مازالت تجرجر نفسها وتذكيها أصابع الصهيونية بواسطة بعض الدول الغربية، كانت تستحق الدراسة لو أن البيت العربي متماسك الأجزاء والأفراد والدراسة التي نعنيها تعني البحث عن أسبابها واتجاهاتها وأهدافها وما نصيب كل دولة من الدول العربية فيها، قد يقول البعض وما علاقة باقي الدول العربية بها؟ وأظن أن من السخافة أن يتجاهل هذا المتسائل مثل هذه العلاقة فالجمهورية اللبنانية جغرافيا من دول الطوق والماسة لفلسطين المحتلة، ولقد كان الدور الذي لعبه هذا البلد العربي الصغير جغرافياً والكبير نضالياً ومعنوياً، لقد كان دور هذا البلد في خدمة القضية الفلسطينية من أعظم الأدوار بيد أنه مازال يمثل بوابة يرى العرب من خلالها ما يجري داخل فلسطين المحتلة بين الشعب الفلسطيني وجلاّده زد على ذلك أن مقاومة هذا الشعب قد لقنت الكيان الصهيوني المحتل درساً لا يمكن أن ينساه و حتى لو نسي حرب الرابع من اكتوبر العاشر من رمضان.. ذلك لأنه لأول مرة وتحت ضغط المقاومة اللبنانية يرضى من الغنيمة بالإياب وهو لهذا يريد أن يغلق البوابة اللبنانية، وينال من المقاومة وهذا هو الهدف الإقليمي الواضح، لكن تحريكه لبعض الدول الغربية ماذا يعني؟ من أجل المصالحة فقط أم أن هناك أهدافاً أكبر وأوسع أي أن الأصوات الغربية التي كانت وراء القرار رقم ١٥٥٩ قد جعلت نفسها موضع تساؤل عما إذا كان هذا العمل مع ما لحقه من ضغوط حادة من أجل الكيان الصهيوني، أو من أجل لبنان أو الأهداف أكبر وأوسع من ذلك؟ وأياً كانت الاجابات فإن الخوف على لبنان ووحدة لبنان هما اللذان يحركان مشاعر الكتاب والصحفيين العرب... هناك ملاحظة تؤكد أن الكيان الصهيوني كان من أول المستفيدين ولهذا فقد جاء رد الفعل الصهيوني على خطاب الرئيس السوري الدكتور/بشار الأسد على لسان شيمون بيريز- نائب رئيس الوزراء والذي علق على قرار الانسحاب بالقول: أنه لا يكفي وهو مايعني أن القرار الأممي الآنف الذكر كان أمنية من أماني اسرائيل وأن الكثير من الجهود والأموال وحتى الدماء تهون في منافع اسرائيل والسؤال الذي يلقي نفسه أمامنا هو الى أي مدى تصل مثل هذه اللعبة؟ من الملاحظ أن الموجة قد انكسرت حدتها وإن بقيت بعض الأصوات وأن بعض من ركب هذه الموجة من زعماء المعارضة اللبنانية- وهم من سوّغ للتدخل الأجنبي مثل هذا التدخل- قد أخذوا يراجعون مواقفهم الانفعالية ربما إراكاً منهم بأنه يترتب على مواقفهم أخطار جمة تهدد لبنان و وحدة لبنان ومن العجيب أن الاعلام الغربي يعمل دائماً على تلميع الجنرال ميشال عون فيبرزه كل يوم ليستطلع رد فعله على كل خطاب أو على كل تصريح أو على كل حركة وهكذا كانت العاصفة التي هبت وتهب على لبنان تدار إقليمياً ودولياً استغلالاً لاغتيال المرحوم رفيق الحريري ورفاقه ويوم تنكشف الحقائق عن الذين ارتكبوا مثل هذه الجريمة النكراء، قد يدرك الذين كان لهم ردود انفعالية انهم كانوا مخطئين وأنهم قد استغلوا عاطفياً من قبل من لاتهمهم سوى مصالحهم على حساب خراب الشعوب لكن يبدو أن اللبنانيين من معارضة وموالاة قد فوتوا الفرص أمام الذين يسعون الى خلط الأوراق وإعادة لبنان الى ما كان عليه من الفتن والتناحر وهو مايشغل اللبنانيين ببعضهم كي يسرح ويمرح الكيان الصهيوني على حد قولهم مصائب قوم عند قوم فوائد وعلى كل فقد أثبت الشعب اللبناني بأنه يعرف مصالحه وأن دموع التماسيح التي يذرفها البعض وتتجاوب معه بعض الجهات الأجنبية ماهي إلا خدعة تعود بنا الى ماقبل أربعة عشر قرناً من الزمن وذلك على الرغم من أن الشعب اللبناني قد رسم على مر التاريخ أروع صورة للوحدة والديمقراطية وعيش الطوائف والأديان والأعراف في أخوة حسده عليه الآخرون وصاروا يكيدون له لولا يقظته وهاهي العاصفة تمر وتتلاشى ويبقى لبنان بناسه وطوائفه وأعرافه ووحدته وديمقراطيته..

الوسطية والإصلاح.. والواقع العربي الراهن

عبد الله بن علي العليان

□ .. أصبحت مقولة الوسطية ومقارباتها الاصطلاحية من القضايا التي تشغل بال الكثير من المهتمين، والمؤسسات الفكرية والثقافية في الوطن العربي خاصة مع تصاعد الحديث عن الإصلاح والديمقراطية والتعددية.

وقد خصص منتدى الفكر العربي في اجتماعه هذا العام بمملكة البحرين ندوة كبيرة على هامش هذا اللقاء اشترك فيها العديد من المفكرين والأكاديميين والباحثين المهتمين بالواقع العربي وقضية الإصلاح والديمقراطية، بالإضافة إلى أعضاء المنتدى.

والواقع أن مسألة الوسطية والاعتدال وغيرها مما يقابلها في هذا الاصطلاح تعتبر منهجاً مهماً للخروج من الكثير من الالتباسات والرؤى المتقاطعة من الداخل ومن الخارج حول الكثير من الجولات الفكرية والمقولات والتأويلات التي يفسرها كل على هواه، وفق مصالحه واتجاهه وميوله.

وبالفعل كانت الندوة الفكرية التي أقامها المنتدى على هامش اجتماعه هامة، وأسهمت في إثراء هذا الاصطلاح المتعدد الأفهام والمقاربة في تجديد مفاهيمه في إرساء واقع عربي يتسم بالتعدد والانفتاح والإصلاح النابع من الواقع ومقتضياته الراهنة بعيدا عن الغلو والانفلات الذي يجتاح عالم اليوم ، وتعيش معه الإنسانية ارتباكاً واقعياً في كيفية الخروج من الأزمة وتداعياتها التي عصفت بالعالم كله بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م. حيث استغلت بعض الأطراف هذه ألازمة لفرض مقولاتها ورؤاها وأجندتها بدون أن تضع أفكارها للنقاش والحوار والتباين بالوسائل الديمقراطية المعتادة التي يمكن التوافق عليها والنظر في ما يمكن الاختلاف عليه وإزاحته بالاقتناع من الواقع القائم.

صحيح أن الإصلاح والتجديد والتطوير من المطالب الهامة في حياة الأمم والشعوب وضروراتها لا خلاف عليها في مجمل هذه الأطروحات والمعطيات والمستجدات يجري الحديث عنها، لكن الذي لا نستطيع قبوله أو الاقتناع به مسألة الفرض والقسر والإلحاق تحت أي مسميات فضفاضة. سيما عندما تأتي من خارج الواقع العربي وبطريقة إجبارية غير قابلة للنقاش أو المراجعة.

وكلنا يعرف ما جرى للاتحاد السوفييتي السابق عندما فرض على شعوب أوروبا الشرقية نموذجا شموليا وطبقه بطريقة قسرية إجبارية، وجاءت التطبيقات فاشلة أسفر عنها انهيار رهيب عصف بهذا المعسكر الاشتراكي!

ومن هنا نرى أن الفرض والإلزام على الحضارات والصيغ الفكرية الأخرى ومطالبتها بتبني أفكارها ونماذجها الفكرية مسألة خطيرة وتمثل طريقة قمعية شمولية، وتلك قضية غير جديرة بالقبول العام من الشعوب إذا ما نظرنا إلى الواقع العربي المتردي بحيث يراد لنا أن نتجه أو نتحرك وفق رغبتهم وكأن المقولات التي يريدها البعض لنا تطبيقها على واقعنا بمثابة ' طوق النجاة '، وهذه من الصعب قبولها بإرادة حرة، ونفس راضية. لأن الإقصاء – أيا كانت ماهيته – يعتبر ثقيلاً على النفس الإنسانية التي لا تستسيغ القهر والترويض والقمع مهما كانت مكانة الأطراف التي تريد ذلك وبغض النظر عن قوتها ومكانته وقدرتها على الإيذاء والضرر على الآخر.

إن الوسطية أو الاعتدال – في الطرح والقبول بالرأي الآخر وفق ما تراه الأمة برصيدها ومنهجها في الوسطية التي دعا إليها الإسلام وعدها ركناً أساسياً في التعاطي بين الإفراط والتفريط.والإشكالية أن منهجية الغرب للأسف – كما يقول سميح عاطف الزين – تنطلق من معيارين للوسطية وفق منهجيتهم الفكرية هي: المصلحة ' وما تجلبه من منافع سياسية واقتصادية، ووسطية الحلول وما ينتج عنها من ظلم لفريق لصالح فريق آخر. ومن هنا نكتشف أيضاً ضحالة العدالة في المبدأ السياسي لدى الغربيين، حين يضعون الحق في كفة مساوية للباطل، فيجعلون مغتصب الشيء والمستولي عليه بالقوة هو وصاحبه الأصيل سواء بسواء، فينبرون لطرح فكرة الحل الأوسط لإنهاء أيّ مشكلة.

وهذا يقودنا إلى اعتبار تلك المنهجية في إيجاد الحلول منهجية استنسابية، وهي من حيث الممارسة خطة قائمة على المراوغة لتطويع الفريق الأضعف في طرفي المشكلة ومساومته لكي يتخلى عن قسم من حقوقه. وهذا يتناقض تناقضاً تاماً مع وجهة نظر الإسلام.

فالإسلام منهج وسط في التصور، في الاعتقاد، في التعبد، في التعامل، في الأخلاق والسلوك، وفي غيرها من مسائل المعاملات التي يتعاطى فيها الإنسان مع ربه ومع أبناء دينه، ومع الآخرين.

ان قضية الإصلاح الذي نريده في عالمنا العربي يجب أن تنطلق من الوسطية الجامعة والاعتدال في الرؤية العامة بعيداً عن التفريط في المبادئ والحقوق والثوابت. وهنا علينا كأمة تجمعنا أواصر كثيرة أن نتقاسم هذه الرؤية بتأن، والانفتاح على الآخر من هذه المنطلقات. وعدم الرضوخ إلى الضغوطات والجبريات المفروضة للإصلاح التي يطلقها الغرب على العرب والمسلمين.

نعم للإصلاح والديمقراطية باعتبارهما ضرورة لا غنى عنهما لأمتنا، والدعوة إليهما مسألة صحيحة لا غبار عليها.. لكننا نعتقد أن المصالحة مع الذات، والمراجعة الداخلية هي القضية الأهم في واقعنا الراهن، وتنطلق من الوسطية في كل خطواتنا وإصلاحاتنا وتعاملنا مع الآخر هي الورقة الرابحة مستقبلاً. التحرك العقلاني وفق الثوابت الجامعة للأمة، ومن هذه الرؤية نرى أن الإصلاح المطلوب هو الذي سيتحقق بنجاح في المستقبل إذا ما أردنا أن يكون التطبيق ناجحاً وناجعاً.

إن الوسطية التي نريدها في واقعنا العربي هي أن يكون خطابنا – كما يقول د. عبدالكبير العلوي : هو الخطاب المتوازن، خطاب الحكمة، الخطاب الجامع بين الدين والعلم والمدنية، الخطاب الراشد العقلاني الشمولي ذو البعد الإنساني.إن الوسطية هي وحدها الخطاب الممكن توجيهه للإنسان المعاصر لأنها توفيق بين مضامين الدين، وحاجة الإنسان وظروفه. إنها الكلمة السواء بيننا وبين الإنسان المعاصر.

وقد أجاد الطرح الأمير الحسن بن طلال رئيس منتدى الفكر العربي في هذا اللقاء عندما دعا إلى تجديد الأسلوبية في مخاطبة الذات والآخر، وإلى مبادرات أخرى تنطلق في دعوتها إلى نظام عالمي إنساني جديد مبني على التعاون والشراكة في مواجهته تغوّل الفقر وتدهور البيئة الإنسانية والطبيعية.إن الإنسانية بحاجة إلى إعادة تفكيرها في الرؤية الأحادية تجاه التعددية والخصوصية الفكرية والثقافية والاعتراف بالآخر وقيمه وأفكاره. وأن هناك قيما تتعدد وتتباين في أفكارها وفي نظرتها، وهذا الاختلاف سمة إنسانية عامة لا يمكن إنكارها، لكن هناك مشتركات إنسانية عامة يجب أن تلتقي عليها كل الحضارات والثقافات بدون استعلاء أو نبذ أو فوقية. وهذه هي الوسطية أو الاعتدالية في التخاطب والحوار والتعاون الحر النزيه.

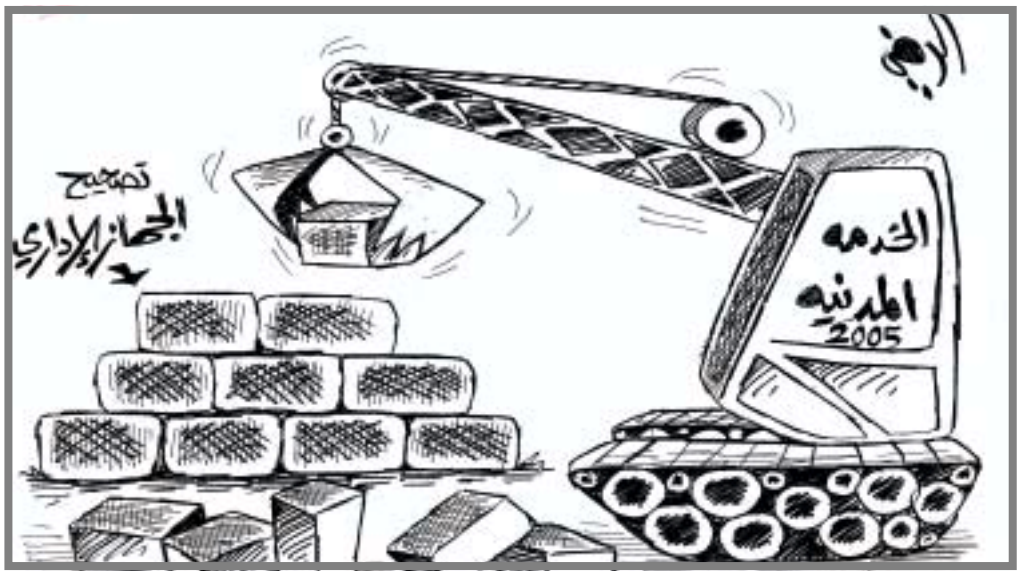

آفاق

لبنان المستقبل..

■.. يدرك عقلاء لبنان- وما أكثرهم- أن بلدهم يمر في عنق زجاجة تاريخي ينبغي أن تتكاتف جميع الجهود لإخراجه منه بسلام وبأقل الخسائر وعبر التوافق والوحدة الوطنية والشراكة في الحكم والاصرار على تثبيت الثوابت وتهدئة الخواطر وإقامة أفضل العلاقات الأخوية مع سوريا التي تمر بظرف صعب تتحسس معه نسمة الهواء، فكيف بعصف العواصف الحاملة للسموم والتي تهدد منطقة الشرق الأوسط العربية بأسرها.

لاجدوى في اللحظة الراهنة من فتح ملف العلاقات مع سوريا بين من يسمّون بالمعارضة وبالموالاة، فدمشق قد اتخذت قرارها بالانسحاب وهو قرار لا رجعة فيه وتحسب مواقيته بالأسابيع لا بالسنين، وهذا القرار فتح جميع الأبواب على مصاريعها لمرحلة جديدة هي بالتأسيس أشبه، والتأسيس دائماً ينهض به الكبار الذين ينظرون إلى البعيد لا أولئك الذين لا ينظرون إلى ما هو أبعد من أنوفهم.

فضل النقيب

لقد كان السيد حسن نصر الله في مستوى القامات التاريخية الكبرى بخطابه الجامع في التجمع المليوني والداعي إلى لبنان الواحد والإخاء الوطني والسلامة الاقليمية وتثبيت النهج الديمقراطي والتحسب للتدخلات الأجنبية التي قد تعصف بكل شيء!

إذا لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جُثثٌ وهامُ

وقد جذب موقف نصر الله بمصداقيته العالية مختلف الشرائح الأخرى التي أجمعت على جعل اتفاقية الطائف مرجعية ونبذ قرار ١٥٥٩ لأنه يقود إلى متاهات تتعلق بسلاح المقاومة، ولا بد من ترتيب البيت اللبناني دون عصبية لا ضرورة لها، فلا الموالون سينفردون ولا المعارضة سيسيطرون. إن سياسة "لا غالب ولا مغلوب"، هي ضرورية لبنانية وليست مجرد صياغة أدبية، ولذلك تجاوب وليد جنبلاط وتجمع قرنة شهوان مع الاتجاه الجديد، وإن كان المعارضون كما يبدو يخشون من تناقص قوة الدفع، وهذا تقدير مبالغ فيه في ظل الظروف الحالية التي جعلت لبنان فصلاً من رواية أكبر لا زالت تتوالى فصولاً.

لقد جرّب اللبنانيون مختلف أنواع التمردات والتحالفات فاقتنعوا بعد أن دفعوا الثمن غالياً أن خيارهم الوحيد هو الأسرة الواحدة المتعايشة، وتلوح أمامهم اليوم فرصة تاريخية لتفعيل تجاربهم واستثمار خبراتهم وبناء اقتصادهم، وإقامة علاقات متوازنة تنطلق وتصب في المصلحة الوطنية.

وقد لفتني النداء المؤثر الذي وجهه المرجع الشيعي محمد حسين فضل الله ودعا فيه اللبنانيين إلى وجوب الامتناع عن القيام بأي إخلال أمني فردي أو جماعي وأي خطاب حاد ومثير للتوتر مؤكداً من موقعه الشرعي حرمة استخدام السلاح مشيراً إلى التعاليم الإسلامية والمسيحية التي تجمع على ذلك التحريم داخل الشعب الواحد.

باختصار: لبنان اليوم لا يحتمل ترف العيش في الماضي، فكل شيء يناديه نحو المستقبل.. وينبغي أن لا يخطئ الاتجاه.

من السبت إلى السبت

في قضاء حوائج الناس..!

■.. قال الجاحظ: إن أحببت أن يُزاد في الاحسان اليك وأن يثبت لديك ما أنعم الله عليك، فاقض حاجة من قصدك وابسط له بالبِشر وجهك وبالمعروف يدك.. وهكذا نجد أننا في زمن مليء بالمتناقضات بحيث أصبح قضاء حوائج الناس من المعجزات، وكل واحد لا يرى إلا مصالحه الشخصية فقط، أما مساعدة الآخرين فينطبق عليها المقولة المشهورة «كان يا ما كان .. في سالف العصر والزمان رجال يحبون قضاء حوائج الناس» أمثال أسماء بن خارجه القائل: «ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها لأنه لا يخلو أن يكون كريماً فأصون عرضه أو لئيماً فأصون عنه عرضي» وقال عبدالله بن جعفر: «أبذل معروفي فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً، وان أصاب اللئام كنت به أهلاً».

نعم كانوا يتنافسون على بذل المعروف وقضاء حوائج من هم بحاجة الى المساعدة، قال حكيم بن حزام: «ما أصبحت صباحاً قط فرأيت بفنائي رجلاً طالب حاجة قد ضاق بها ذرعاً، إلا كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحاً لم أرَ بفنائي طالب حاجة، إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله -عز وجل- الأجر عليها».

أحمد اسماعيل الاكوع

وقال عبدالله بن العباس رضي الله عنهما: «ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسّع لي في المجلس، ورجل اغبرّت قدماه في المشي إليّ إرادة التسليم عليّ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله -عز وجل- قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمر فبات ليلته يفكر بمن ينزله، ثم رآني أهلاً لحاجته فأنزلها بي».

وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض اخوانه فجاءه بهدية، فقال ابن شبرمة: ما هذا؟ قال: أخوّة لما أسديته إليّ. قال ابن شبرمة: خذ مالك عافاك الله، اذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد في قضائها فتوضأ للصلاة وكبّر عليه أربع تكبيرات، وعده في الموتى.

وقال الحسن البصري: والله لأن أقضي لأمرئ مسلم حاجة أحبّ إليّ من أن أصلي ألف ركعة.

وهناك الكثير من الأمثلة والنماذج من هذا النوع من الرجال. فقد قال قيصر لأنوشروان: أي شيء أحب اليك؟ قال: أحب الأشياء إليّ أن أقضي حاجة من رآني أهلاً لقضاء حاجته.

وقيل: جلس الاسكندر يوماً للناس في مواجهة عامة فما سأله أحد حاجة؟ فقال لجلسائه: اني لا أعد هذا اليوم من أيام مُلكي.

وتتعدد وجهات النظر في موضوع قضاء الحاجات. فبعضهم يجعلها نعمة من نعم الله وبعضهم يذهب به الأمر الى أن يرفض أن ينال حاجته من المخلوق، كما هو حال بعض الفقراء حين سأله أحد الملوك، اذا كان لك من حاجة فارفعها إليّ. فقال له الفقير: قد رفعت حوائجي لمن هو أقدر منك فما أعطاني منها رضيت به، وما منعني منها رضيت عنه. فقال له الملك: ولا لك حاجة عندي؟ قال: بلى. قال: وما هي؟ قال: لا تراني ولا أراك.

بل أن بعضهم كان اذا سأله أحد حاجة وليس عنده شيئاً ليعطيه كان يبكي ندماً.. فقد أتى سائل الى سفيان بن عيينة فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى. فقيل له: يا أبا محمد ما الذي أبكاك؟ قال: وأي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه.

هذه أمثلة متفرقة حاولنا الاستشهاد بها عما كان عليه الناس في مختلف العصور من التضامن والتكافل والمروءة والمنافسة على قضاء حاجات بعضهم البعض بلا منّ ولا أذى.

شعـــر

لا تسألن بني آدم حاجةً ... وسل الذي أبوابه لا تحجبُ
الله يغضب إن تركت سؤالهُ ... وبني آدم حين يُسأل يغضبُ